حرية المعتقد والتسامح الديني في حكم المغول (603-694هـ/ 1206-1295م).

أ. أحمد جلايلي*

مقدمـــــــة: أسهب المؤرخون المسلمون في الحديث عن الويلات التي تعرض لها المسلمون إثر الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وكان على رأسهم ابن الأثير الذي عاصر الحملات الأولى التي قام بها جنكيزخان على الدولة الخوارزمية، وقد وصف لنا هذا الأخير الخراب الذي تعرضت له مدن تركستان وبلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وخوارزم، حتى تمنى لو أن أمه لم تلده قبل وقوع الغزو المغولي، وبقى أياما عديدة لا يجرؤ على رفع القلم لتدوين تلك الأحداث.

ولقد أكثر المؤرخون المسلمون في نعت المغول بأقبح الصفات وأعطونا صورة نمطية مفادها أن حروبهم كانت ضد الإسلام والمسلمين، وأجروا أقلامهم في الحديث عن الويلات التي تعرضت لها المساجد ودور العبادة في البلاد التي احتلها المغول، وصبوا جام غضبهم على جنكيزخان وجيوشه، ناقلين إلينا صورة مروعة عن المآسي التي تعرض لها الدين الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، وكأن حرب جنكيزخان كانت ضد العقيدة الإسلامية فقط، ناسين في ذلك الأخطاء الإستراتجية التي وقع فيها الملوك المسلمين، ومتناسين الأوضاع المزرية التي كانت تعيش فيها الأمة الإسلامية.

ومن هنا جاء هذا المقال ليطرح سؤالا جوهريا ويحاول الإجابة عليه: كيف تعامل جنكيزخان والمغول بصفة عامة مع الأديان والمعتقدات الأخرى بعد احتلالهم أراض شاسعة من أسيا وأوروبا؟

1- مفهوم المعتقد أو الدين لدى المغول: اعتنق المغول المعتقد الشاماني منذ فترة مبكرة من الزمن، والشامانية (shamanism) هي مصطلح مؤنث، مأخوذة عن المصطلح الروسي"شامانكا" أي العرافة، وهي تستعمل للدلالة على كل شخص محترف لتلك المهنة، وكلمة "شامان" بمعناها المذكر لا تتواجد إلا عند قبائل التونغو(التانغوت) التركية، أما البريات والياكوت والقرغيز[1] الخ، فيستخدمون كلمة الشامانية، أما أتراك لألتاي فيستعملون كلمة "كام"[2]، والشامانية معتقد ديني ظهر بين الشعوب لألتاي والمغول منذ القديم، وهي تؤمن بوجود إله واحد يتحكم في المناطق العلوية من السماء، ويسمى "باي يولغين"، وحاكم الموتى الأسود الذي يسيطر على العالم السفلى وأرواح الموتى، ويسمى"ايراليك خان"[3]، وكانت تلك الأرواح متعلقة بأرواح أجدادهم القدماء

*أستاذ مساعد أ في التاريخ الإسلامي الوسيط- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة أحمد دراية- أدرار.

التي يقدسونها لاعتقادهم أنها تؤذيهم، ومن ثم كانوا يستعينون بقدرة الشامان للاتصال بها وبالعالم العلوي[4]، فكان الشامان يقوم بدور الواسطة بين رجال القبيلة والعوالم الروحية، ويقدم الصلوات والقرابين للأرواح والآلهة نيابة عنهم، كما كان يقوم أيضا بإيصال أرواح الموتى إلى مقرها الأخير في مملكة "إيلريك" السفلى[5].

والشامان لا يتميز عن باقي المجتمع بشيء سوى بتلك العزلة التي يقضيها في البراري[6]، ويكتسب الشامان وظيفته وسلطته بادعاء نزول الوحي عليه من السماء أو برؤية روح الميت في منامه، ويبقى عليه فقط أن يثبت إدعاءه[7]، والجدير بالملاحظة هنا أنه من أصبح شامانا مرة واحدة ظلّ شمانا طوال حياته، ويجب عليه أن يكون عارفا بالماضي والحاضر والمستقبل لكي يتم الاعتراف به وبقدراته، لأنه المخزن الرئيسي للتراث والتاريخ والأنساب والحافظ للملاحم والأساطير والأشعار[8]، ولم يكن للشامان مناطق مخصصة للعبادة، بل يتم الجـــزء الأساسي من أدائهم التعبدي في الخيام في فصل الشتاء أما صيفا فيتم في العراء[9].

ظهرت الشامانية في آسيا الوسطى، وانتشرت بين أقوام الترك والمغول، ووصلت إلى أوج قوتها في عهد "جنكيز خان" وأتباعه[10]، ولم تعطنا المصادر التاريخية الشيء الكثير عن زمن أو كيفية ظهور الشامانية! وعلى يد من ظهرت! ويرجح الرمزي أنها كانت دينا صحيحا ثم حرفت[11]، وكذلك قال عبد العزيز الخالدي[12]، ولكنهما لم يعطونا أي معلومات عن تلك الديانة التي حرفت عنها الشامانية؟ والشيء المعروف لدى المؤرخين والباحثين أنها تطورت كثيرا في عصر جنكيز خان واتخذت طابعا أوسع، حيث عُرف عنه توحيده لله وعدم تعصبه إلى من اتخذ دينا أخر[13].

ونقل لنا المؤرخون أن المغول لم يكونوا متعصبين لمعتقدهم ولم يعرف عنهم أنهم أجبروا الآخرين على اعتناقه، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الشامانية نفسها التي كانت تتعامل بتسامح مع من ادعى نزول الوحي عليه ليصبح شامانا دون قيد أو شرط، ومن هنا تولدت لديهم حرية الاعتقاد، وكان علـــى المدعي إثبات زعمه فقط، وقد ترجع تلك الحرية إلى طبيعة المعتقد الشاماني في حد ذاته غير التبشيري، فهي لم تسعى أبدا إلى نشر معتقدها بين الشعوب الأخرى، ولهذا رأينا جنكيز خان يحترم كل الأديان والمعتقدات الأخرى، حتى أنه وضع مادة في قانونه الياسا[14]، يحترم فيها كل قوم يعظمون الله، وأمر أن تسقط التكاليف والمؤن عن الفقهاء والعلويين والزهاد(الصوفية) والمؤذنين[15]، كما سأبينه فيما بعد.

وتبقي الياسا التي وضعها جنكيز خان من بين أهم الأعمال المهمة التي قام بها، لأنها كانت تحتوى على كثير من التعاليم الشامانية، ومن الجدير أن نتساءل هنا عن الطريقة التي كتبها بها؟ ومن أين أتى بقوانينها؟ فقد ذكر ابن الأثير في البداية والنهاية: أن جنكيز خان لما اخترعها كان يصعد ويترل الجبل مرارا حتى يتعب، ثم يقع مغشيا عليه ويأمر كُتابه أن يكتبوا ما يُملى عليهم في مجلدين كبيرين حملا على ظهر بعير[16]، وهذه الرواية تشبه كثيرا رواية اختراع زرادشت[17] كتابه الذي وضعه في جـــلد 12 ألف بقرة، ثم نقش بالذهب[18].

والملاحظ هنا أنه في اللحظة التي اخترع فيها جنكيز خان الياسا أصبح شامانا طول الحياة، ومن ثم لم يبق عليه إلا أن يثبت ذلك فقط، ومن المؤكد أنه استغل هذا الوضع من أجل توحيد كل القبائل تحت رايته، فادعى أن الياسا وحي من السماء لكسب الأنصار حوله، فالعُرف الشاماني يقتضي تصديق كل من ادعى الرؤيا، فما بالك بجنكيز خان المنحدر من سلالة "البورشيكو" ذوى العيون الرمادية التي كانت تنحدر من الآلهة، ويبق السؤال المهم هنا هو من أين أتى بكل تلك المعلومات والقوانين؟

2- نظرة جنكيز خان[19](549-624هـ/1155-1227م) للمعتقدات والأديان الأخرى: رغم أن جنكيز خان اتبع سياسة قاسية تجاه كل من يريد الوقوف في وجهه وفي الكثير من الأحيان كان يوصي أتباعه بضرورة إفناء كل من وقف في وجههم، إلا أنه اتبع سياسة رزينة تجاه المعتقدات والأديان الأخرى، فقد نادي إلى التسامح الديني وكفل حرية المعتقد لمختلف الشعوب الموجودة في إمبراطوريته الشاسعة، وأصدر قانونا ضمن فيه الحرية الدينية للجميع هذا في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تمتاز بالتعصب الديني فكانت تحرق ما تسميهم بالهراطقة على الخوازيق[20].

وفي هذا الصدد يقول الجويني: "أن جنكيز خان لم يكن متقلدا لأي دين أو تابعا لأي مذهب فقد كان بعيدا عن التعصب، وعن تفضيل أمة على أمة وترجيحها بعضها عن بعض، بل إنه بجل وكرم علماء وزهاد كل طائفة وحباهم بالمزيد من الإعزاز، وكان يعتبر هذا وسيلة للتقرب إلى الحق جل وعلا، وكما نظر إلى المسلمين نظرة توقير وتقدير أعز النصارى[21]، والبوذيين"[22]، فقد خصص بندا في قانون الياسا ألزم فيه المغول بألا يتعصبوا لشيء من المذاهب[23]، وأصدر أمرا منح بموجبه حرية التعبد المطلقة للمجتمع من بوذيين ومسيحيين ومسلمين وشامانيين، كما أعفى من الضرائب والخدمة العامة جميع القادة الدينيين من الرهبان ومؤذني الجوامع ولكل الأشخاص الذين

كرسوا أنفسهم للممارسات الدينية واستمر هو يعتنق نفس المعتقد الذي كان يؤمن به منذ الصغر وهو الشامانية[24].

اهتم جنكيز خان بالأمر العقائدي للإمبراطوريته فعند تنظيمه الأمور الإدارية والمدنية نجده يعين رجلا في وظيفة بيكي، وهو منصب كبير القساوسة وهو أعلى منصب للسلطة الدينية، وحرص أن يكون صاحب هذا المنصب من أكبر أفراد قبيلة البارين سنا، حيث أمره بامتطاء صهوة جواد أبيض وارتداء زى أبيض، والجلوس في الاجتماعات في أرفع موضع، والقطع برأييه ثم إلزام الناس به[25]، ولمحاربة ظاهرة التعصب في دولته قام جنكيز خان باختيار حاشيته من أحسن الأكفاء من جميع الأمم بمختلف معتقداتها، واتخذ منهم مستشارين ووزراء وكان من أشهرهم: محمود يلواج[26] المسلم، وتاتار أونج[27](Ta-ta-tong) الأويغوري[28]، وبي ليوجوتساي (Ye- Liu Tchou-tsai)[29]، الصيني البوذي[30].

وذهب جنكيز خان إلى أبعد من ذلك حيث ترك الحرية التامة لأولاده لاختيار معتقدهم حيث يقول الجويني عن ذلك: "واختار كل واحد من أولاده وأحفاده من المذاهب ما يوافق ميله وهواه، فمنهم من دخل في الإسلام، ومنهم من اعتنق النصرانية، ومنهم من اختار عبادة الأوثان، وبقى قوم منهم على عادة آبائهم وأجدادهم القديمة لا يحيد عنها ولا يميل إلى غيرها، وكانت هذه الطائفة الأخيرة أقل عددا"[31]، وقد عادت هذه السياسة التي اتبعها جنكيز خان بنتائج جيدة على أولاده وعلى العالم آنذاك بحيث أنها أبعدتهم عن التعصب الديني الذي كان واقع فيه الكثير من الشعوب لأوروبية والإسلامية، بحيث تمسكوا بقوانين الياسا التي سنّها لهم جنكيز خان لا يحيدون عنها قيد أنملة، وقد كانت هذه الأخيرة تنظر بعين المساواة بين جميع الطوائف لا تفرق بين واحدة وأخرى[32].

وانتهج جنكيز خان سياسة عدم التعصب في الدين والابتعاد عن اضطهاد الناس نظرا لمعتقدهم، فعاد هذا الأمر بالفائدة الكبيرة عليه، فمثلا بعد توتر العلاقة بينه وبين حليفه الأول زعيم قبيلة الكرايت "تورغيل"(أونغ خان) المسيحي النسطوري[33]، الذي كان يقود كونفدرالية قبائلية قوية[34]، وأعلن الحرب عليه هبت لنصرته مختلف القبائل، فكان من بينهم بوذيون ومسيحيون ومسلمون وشامانيون، وسيصبح هذا الحلف الذي كونه رجال متعددو الأعراق والمعتقدات رمزا من رموز المجتمع الجديد الذي سيبنيه جنكيز خان فيما بعد[35].

وإذا كانت سياسة جنكيز خان هذه مع قومه فكيف كانت سياسته الدينية تجاه الدول والممالك الأخرى المجاورة له؟ وبمعنى آخر هل كانت حروبه دينية مثلما كانت الحروب التي شنتها أوروبا المسيحية على العالم الإسلامي وأصبحت تعرف بالحروب الصليبية؟

يبدو أن الحروب التي كان يخوضها جنكيز خان ضد الملوك المجاورين له لم تكن حروب دينية بالمفهوم الذي شاهدناه في الحروب الصليبية، بل كان كل ما يكتبه لهم في إنذاره أنهم إذا لم يستسلموا له وينقادوا لحكمه فإن ما يعمله هو ما يعمله الله الأزلي، ويقول الجويني: إنه من يتدبّر هذا المعنى يراه من أقوال المتوكلين، فلا جرم أن يتحقق له كل ما يضمره ويتمناه ويصل إلى كل ما يريده[36].

وفي كثير من الأحيان كان جنكيز خان يهب لنصرة المظلومين مهما كان دينهم ويأخذ على عاتقه حماية الضعفاء، فمباشرة بعد انقضاء مدة قصيرة على عودته من حربه ضد الصين 1215م[37]، حتى وصل مبعوثون مسلمون من مدينة بلاسغون لاجئين إليه من الاضطهاد الديني الذي كانوا يلاقونه من طرف حاكمهم المسيحي غوشلوغ خان (كوجلوك خان)[38]، الذي أجبرهم على ترك الإسلام، وخيّرهم بين اعتناق المسيحية أو الوثنية أو لبس زى الخطائيين[39]، فأذعنوا له كارهين، كما منع الأذان أن يرفع على منابر المساجد وأغلق مدارس تعليم القرآن كما نكّل بالأئمة الكبار في مدينة ختن، حيث أخرجهم إلى الصحراء وبدأ في مجادلتهم والبحث معهم في أمور الأديان علّه يقنعهم بالابتعاد عن الإسلام، فجرى بينه وبين الشيخ الإمام علاء الدين محمد الختني[40] مجادلة كبيرة، ولما غلبه سلط عليه سوء العذاب وعاقبه أشد العقاب وعلقه على باب المدرسة، فخاف المسلمون وتلاشى خبرهم وعمّ ظلم كوجلوك على البلاد[41]، لذلك استنجدوا بجنكيز خان وطلبوا منه الحماية فلبى طلبهم بكل سرور وقام الجيش المغولي على إثرها بغزو بلاسغون، وتم قطع رأس غوشلوغ خان وضمت أراضيه إلى الإمبراطورية المغولية وانتصر للمسلمين، وتم الإعلان عن حرية ممارسة التعبد في كافة أنحاء أراضي غوشلوغ خان، فأجازوا الآذان والتكبير وأداء الصلاة ونادي مناد بأن كل من يسير على دينه ويمضي وفق مذهبه فهو آمن[42]، فأصبح جنكيز خان منذ ذلك الحين يعرف باسم "المدافع عن الأديان"[43]، ووصفه المؤرخ الجويني بأنه: "تجسيد لرحمة الله بعباده، ونعمة أسبغها المولى على البشرية"[44]، وأطلقت عليه أوروبا منذ ذلك الوقت وصف "سوط الله"[45].

إن هذه العبارة في الحقيقة لا تعدو أن تكون إلا جزء من الواقع؛ فقد سلّط الله جنكيز خان على أشد الناس بطشا وجبروت، وإذا نظرنا إلى الواقع آنذاك فنجد أن كوجلوك خان لم يكن وحده من اضطهاد المسلمين فالمظالم التي ارتكبها قائد الجيش الخورزمي "مياجق" وأتباعه، لم يرتكبها لا الكفار الخطائيون ولا الصينيون، فقد كان يريق الدماء كما يريق الماء، وكان برفقة زمرته يغلقون المدارس وهذا لم يفعله لا المجوس ولا النصارى ولا اليهود والوثنيين، وقد أصدر هؤلاء قانونا يبيح لهم مصادرة المدارس والمساجد وأموال العلماء فكانت هذه البدعة وبالا على المسلمين[46]، ولا شك أن هذه الظروف كانت تصب في صالح جنكيزخان فقد اغتنم هذا الوضع وهب لنصرة المسلمين.

ولم تكن حروب جنكيز خان التي شنها على العالم الإسلامي حروبا دينية مثلما كانت الحروب الصليبية، بل كانت ردّة فعل منه تجاه نقض سلطان الدولة الخوارزمية بنود المعاهدات التجارية التي كانت بينهما، وقد صرح جنكيز خان بذلك بعد أن وصلته أنباء حادثة أترارة[47]، ومقتل رسله الذين بعثهم إلى السلطان الخوارزمي لتسوية الأمر معه، فبمجرد أن وصلته أنباء حادثة مقتل رسله صعد قمة تل عال وعرى رأسه ودعا الله قائلا: "يارب: إنك تعلم أنني لم أكن أول من أشعل تلك الفتنة، فامنحني القوة (على) الانتقام"[48]، ومنذ تلك اللحظة وهو يستعد للحرب ضد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، ومن هنا يمكن القول إن جنكيز خان لم يكن هو البادئ بالعدوان والبادئ أظلم.

كان جنكيز خان يؤمن بأن المعاصي والذنوب تسلط العذاب والمهالك على العباد، ومن هنا يتعرض لعذاب الله، فقد صرح بذلك عندما احتل بجيشه مدينة بخارى حيث جمع الناس وخاطبهم قائلا: "أيها القوم اعلموا أنكم قد اقترفتم الكثير من الذنوب والآثام، وقد ارتكب هذه الآثام عظماؤكم وكبراؤكم، تسألونني ما دليلي على ما أقول، فأجيبكم: إن سبب ذلك هو أني عذاب الله، فإذا لم تكونوا قد ارتكبتم المعاصي والآثام لم يرسل الله عذابا مثلي ليصب فوق رءوسكم العذاب، ولأذيقكم وبال أمركم..."[49].

ولم يكن ذلك العذاب يسلط على جميع الناس بدون تمييز؛ ففي احتلالهم مدينة سمرقند لم يتعرض المغول لقاضي المدينة وشيخ الإسلام، كما عفوا عن أقاربهم أو من كانوا بجوارهم ولاذوا بهم، وكان عدد من بقي تحت حمايتهم يزيد عن خمسين ألفا من الناس[50]، حقيقة أن جنكيز خان وجيشه الجرار قد خربوا مدينة سمرقند وعاثوا فيها فسادا ولكن مع ذلك تركوا الحرية الدينية لهم،

فقد نقل لنا المؤرخ بارتولد رواية مهمة عن الرحالة الصيني تشان تشون[51] الذي مكث بمدينة سمرقند حتى السادس من أبريل 1222م، وأخبرنا أن الحياة هناك كانت تسير سيرها الطبيعي بعد انتهاء الغزو المغولي رغما عن التخريب الذريع الذي ألحقه هؤلاء بالمدينة، ومع ذلك فقد كان الرجال والنساء عند سماعهم للأذان يهرعون إلى المساجد، وكان كل من يترك الصلاة يعاقب عقابا رادعا، وفي شهر رمضان كان الأهالي يحيون لياليهم بتلاوة آيات القرآن الكريم[52]، ومعنى ذلك أن المغول تركوا الحرية الدينية للسكان، ولم يضطهدوهم دينيا ولم يفرضوا عليهم أي دين جديد مثلما فعل الصليبيون في بلاد الشام.

كان هذا الوضع سائدا بين المغول في الوقت الذي كانت فيه أوروبا المسيحية أكثر تعصبا وتشددا حيث كانت تنظر إلى أن أسباب هزيمتهم أمام المغول سنة 1241م تعود إلى اليهود، فقد ألقى رجال الدين الأوربيين باللائمة على اليهود الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، وزعموا أن المغول في واقع الأمر من بين القبائل العبرية التائهة منذ زمن سيدنا موسى، حولهم الرب انتقاما منهم إلى جموع من الوحوش الآدمية، وأن هذه الجموع تتلقى الدعم والتموين من الزعماء اليهود النافذين في أوروبا، وكانوا يخططون مع إخوانهم المغول للسيطرة على العالم، وقد تصادفت سنة غزو المغول الذي هي 1241م مع سنة 5000 في التقويم اليهودي، فأسهمت هذه النظريات في تأجيج أحقاد دينية أدت إلى نتائج مأسوية، فقد صبّ المسيحيون كل غضبهم على اليهود الموجودين في روما مركز البابوية وفي مختلف المدن الأوروبية الرئيسية الأخرى، فذبحوهم وأحرقوا منازلهم وكنائسهم ومحلاتهم، وأذاقوهم من نفس الكأس التي تجرّعوها من المغول وكل ذلك باسم الرب[53].

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه أوروبا المسيحية منقسمة على نفسها وكان الأمراء الأوروبيون يحكمهم التعصب الديني يقومون بعمليات التعذيب والتنكيل والطرد ضد رعاياهم الأكثر مهارة من غير المسيحيين، كان المغول أكثر مرونة منهم فقد كانوا يستقطبون نظراءهم من الشعوب الأخرى التي يخضعونها بدون أن يلقوا بالا لا للعرق أو الدين، ويوفرون لهم هامشا كبيرا من الحرية وبخاصة الحرية الدينية، فيجنون من ذلك مكاسب كبيرة، فاستقطبوا من أوروبا نماذج جديدة من النساخين والمترجمين والمهندسين والمعماريين والحرفيين، فقد أندهش جنود هابسبورغ عندما ألقوا القبض على أحد الضباط المغول واكتشفوا أنه رجل انجليزي يجيد العديد من اللغات قد

تعرض للتهديد بالحرمان من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فهرب بجلدته وآثر العمل لصالح المغول[54].

وحال العالم الإسلامي كان لا يختلف كثيرا عن أوروبا في نظرته إلى المعتقدات والأديان فقد كانت تحكمه الخلافة العباسية بموجب المذهب السني وكانت المناطق التابعة لها مليئة بالأقليات المضطهدة مثل الشيعة واليهود والمسيحيين، وقد استغل المغول تلك الإنقسمات الدينية والمذهبية لصالحه؛ فقد تآمر كبار رجالات الشيعة في بغداد بمن فيهم مستشار الخليفة وكبير وزرائه مع المغول، كما انضم الآلاف من مسيحيي بغداد إلى القوات المغولية في المقابل كان المغول أكثر انفتاحا من الناحية الدينية من أي قوة حاكمة في ذلك الوقت، فقد عمل المسلمون والمسيحيون من كل المذاهب في جيش هولاكو، وكان العالم الفلكي الشيعي ناصر الدين الطوسي من أكبر مستشاريه، وقد كانت أم هولاكو واثنتين من زوجاته مسيحيات، هذا ما سهل عليه التواصل مع مسيحيي الشرق الذين اعتبروه منقذا لهم.[55]

3- أوكوتاي[56](626-639هـ/1229-1241م) حامي المسلمين من بطش جغطاي: وقع اختيار جنكيز خان على ابنه أوكتاي ليكون ولي عهده وخليفته من بعده، وحسب بعض المصادر والمراجع فإنه كان متصفا بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات، لين العريكة، يحمل بين جنبه نفسا طيبة، وضميرا حيا يقظا، أشاع في رعاياه العدل والإحسان[57]، وكان متصفا بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات، وكان يتفضل بكامل الإنعام والإكرام على كافة الناس، وكان يحب العدل وإفاضة الكرم[58].

وكان هذا الأخير مثل والده يعمل على عدم تفضيل طائفة على أخري، ويعمل جاهدا من أجل تطبيق المساواة بين الجميع، ويحارب التعصب الديني بكل ما يملك، حيث يروي الجويني ورشيد الدين الهمذاني: أنه قدم لاعبون من الختا إلى مدينة القاآن وكانوا يقدمون عروضا بهلوانية عجيبة لم تكن قد شوهدت من قبل، فكانوا يخرجون من وراء الستار أشياء من بينها صور تمثل كل الأقوام، فأخرجوا في أثناء ذلك رجلا شيخا أبيض اللحية وعمامته فوق رأسه وخلفه جواد وسألهم قائلا: من هذا؟ قالوا: صورة مسلم عاص متمرد، فغضب الخان من ذلك غضبا شديدا وقال لهم: " كيف تسخرون بأرباب الإسلام (المسلمين)، هذا إثم وجرم يقع عليكم ويوجب عقابكم، ولكني أهب لكم حياتكم فعودوا إلى بلادكم ولا تعودوا إلى مثل هذا، وأمر جنوده أن يطردوهم ويطردوا أمثالهم من سائر بلاده"[59].

كان أوكتاي كريما إلى أقصى حد ويجتهد في تعظيم أهل الإسلام ورفاهيتهم، فكان المسلمون في بلاده مرفهين الحال وذوي حرمة، فقد بنيت المساجد في أثناء حكمه في كل بلاد تنكت وطمغاج والتبت وبلاد الصين، وأوكل جميع قلاع بلاد الشرق وحصونها إلى جماعة أمراء الإسلام، وأسكن الأمراء الذين كانوا قد أُسروا من إيران وتوران في مدينة التركستان وبلاد طمغاج وتنكت، كما أمر أوكتاي بأن ينادي المسلمين بكلمتي: "صاحب" و"أخ"، وأمر المغول بأن يزوجوا بناتهم للمسلمين، وإذا رغب شخص في خطبة أولادهم لا يمانعون، وقد قامت صلاة الجمعة في كل بلاد الشرق[60].

وكان يدافع عن المسلمين ففي مرة من المرات اقترض رجل مسلم من أحد الأمراء الأويغور مقدار من المال وعجز عن سداده، فقام هذا الأخير بتهديده وأجبره على ترك دينه الإسلامي وفرض عليه عبادة الأوثان، ولما رفض شهر به في سوق المدينة وضربه مائة سوط، فذهب المسلم إلى الخان وأراه آثار السوط على رأسه، وعندما تحقق أوكتاي من صدق كلامه أمر بإحضار الأمير الأويغوري، ووبخه على تعذيب المسلم، ونزع منه منزله وأعطاه للمسلم، وأمر أن يضرب بالسياط وسط السوق مائة ضربة، وأعطى مائة بالش للمسلم[61].

وفي مرة من المرات قدم أحد العرب الملحدين إلى الخان وأدعى: أنه رأى جنكيز خان في منامه وأمره بأن يقول لابنه أقتل المسلمين جميعا لأنهم قوم سيئون، ففكر الخان وأدرك أن هذا الكلام كذب فسأله قائلا: هل تعرف التركية أم المغولية؟ فأجاب بأنه يعرف التركية، فقال: لا شك لدى في أن والدي لا يعرف لغة أخرى غير المغولية، وهذا دليل على كذبك، وأمر أن يقتلوه[62]، وفي رواية أخرى عن طبقات ناصري للجوزجاني أن ذلك الشخص ما هو إلا أحد الكهنة من بوذيين "توينان" مبعوث من قبل أخيه جغطاي[63]، الذي كان يكره المسلمين ويكيد لهم عند أخيه الخان وذلك بتحريض كبار الشخصيات المغولية من الأمراء والقواد لكي يشوا بالمسلمين عند أخيه الخان أوكوتاي[64]، ولكن هذا الأخير تفطن لمكائد أخيه ومبعوثه البوذي، فقال له: "إنني لن أستبيح دمك احتراما لأخي جغتاي، فعد من حيث أتيت وقل له ولزمرته أن يكفوا أيديهم عن إيذاء المسلمين لأنهم إخوتنا وأصدقاءنا، وقد استمدت مملكتنا القوة منهم، وبعونهم أصبح العالم مسخرا لنا وطوع أمرنا، وخضع أهل العالم لنا بمساعدتهم"[65].

وكان أخو الخان جغطاي يكره المسلمين ويريد التخلص منهم جميعا ولا يترك أي واحد منهم حيا[66]، وكان الخان متفطنا لتعصب أخيه ضد المسلمين فكان يُعمل الحكمة معه ويحتاط للأمر

ويدافع عن المسلمين، يقول الجويني: في مرة من المرات حينما كان أوكتاي خان وأخوه جغطاي عائدين من رحلة صيد، رأيا مسلما يستحم في النهر وضح النهار، وكان قانون الياسا الجنكيزخاني يمنع ذلك[67]، ويعاقب عليه أشد العقاب، فاستشاط جغطاي غضبا وأراد قتله فاستمهله الخان قائلا: اليوم متأخر ونحن الآن متعبون فلنترك عقابه إلى الغد، فننظر في أحواله وندرس ونقف على أسباب مخالفته لقوانيننا، وأمر الحاجب أن يقبض عليه، ثم أمر حاجبه أن يلقي سرا في مكان استحمامه عملة فضية وأمره أن يفهم المسلم أن يقول في الغد أثناء السؤال: إنني رجل فقير قليل المال كثير العيال وكل ما أملك هذه الصرة من المال لهذا تجرأت ونزلت إلى الماء لألتقطها، وفي الغد أتوا به أمام الخان وجغطاي للحساب فشرح لهم الأمر، فبعث الخان على سبيل التأكد شخصا إلى النهر واستخرج الصرة من الماء، فقال الخان: إن كل من يخالف أحكامنا ويضمر العداء لقانوننا يطاح برقبته، ولكني نظرا إلى أن هذا الرجل ضعيف الحال كاد يضحي بحياته من أجل صرة من المال فقد أمرت أن يعطوه عشرة أضعاف ما كان في الماء إضافة إلى الصرة الأولى وأن يأخذوا عليه العهود على أن لا يعود إلى فعل ذلك مرة أخرى وإلا فقد روحه[68]، وهكذا أنقذ ذلك المسلم من بطش أخيه جغطاي.

4- كيوك خان[69] **(644-647هـ/1246-1249م) والمسيحية:** اختير كيوك خانا أكبرا للمغول في القروليتاي (الاجتماع الكبير) المنعقد في سنة 644هـ/1246م، وقد حرصت والدته توراكينا خاتون التي كانت تدين بالمسيحية على الاعتناء بتربية ابنها منذ الصغر، فعهدت به إلى الأمير "قداق" المسيحي منذ الصبى، فتأثر كيوك به كثيرا، ولما اعتلى العرش قرب إليه "جينغاي" من قبيلة كرايت الذي كان يدين بالمسيحية وكان يعمل مستشارا ووزيرا لأبيه، وقلده منصب الوزارة، فكان لهذين الرجلين تأثير كبير على الخان المغولي، حيث صار يعطف عطفا شديدا على رعاياه من المسيحيين من أمثال الأرمن والكرج والروس، لهذا السبب كان يقبل دائما على رعاية القسيسين والنصارى ولما ذاع ذلك النبأ توجه إلى حضرته القسيس من بلاد الشام والروم والآس والأوروس[70]، وارتفع شأن النصارى في دولته حتى أنه لم يكن لأي مسلم الجرأة على أن يعارض النصارى[71].

أراد البابا إنوسنت الرابع (1243-1254م) استغلال هذا الأمر لصالحه ولصالح المسيحيين حيث أنفذ سفارتين إلى بلاط الخان الكبير بمنغوليا، فكانت السفارة الأولى[72] برئاسة الراهب الفرنسيسكاني "يوحنا دي بلان كاربين"(Jean de Plan Carpin) في سنة 643هـ/1245م حيث

وصلت هذه الأخيرة إلى بلاط الخان في سنة 644هـ/1246م وأحسن كيوك استقبالها نظرا لكثرة عدد النساطرة بين مستشاريه، ونجحت السفارة في التأثير على وزيرين من وزراء كيوك، فاعتنقا المسيحية، غير أن كيوك عندما قرأ رسالة البابا التي طالبه فيها اعتناق المسيحية، كتب ردا عليه بأن يعترف هو بسيادته العليا، وأن يقدم إليه صاغرا مع سائر أمراء الغرب ليحلفوا يمين التبعية له، فعاد يوحنا خائب الأمل إلى البابا سنة 1247م[73].

في الحقيقة كان رد الخان المغولي قويا على رسالة البابا إنوسنت الرابع (1243-1254م)، حيث اتهم المسيحيين بالتعصب الديني واحتقار الآخرين قائلا: "ولكنكم يا معشر الغرب تعتقدون أنكم أنتم فقط مسيحيون وتحتقرون الآخرين"[74]، كما طلب منه المجيء إليه إلى قراقورم صاغرا ويعلن خضوعه رفقة أمراء أوروبا، حيث قال له: "والآن يجب أن تقول بقلب صادق: سوف أخضع لك وأخدمك، وأنت بنفسك على رأس جميع الأمراء(الملوك) تأتون في الحال لتخدموننا وتنظرون(على أبوابنا)، وفي هذه الحالة فإنني سوف أقبل خضوعكم، ولو لم تطع أمر الرب، ولو تتجاهل أوامري فسوف أعرف أنك من أعدائي، وفي هذه الحالة لا أعرف ماذا سيحدث (لك) فالرب وحده يعلم"[75].

ورغم فشل هذه السفارة البابوية فإن شأن المسيحيين ارتفع في عهد كيوك خان وانخفض صوت المسلمين، وذلك بتأثير أمه التي كانت تدين بالمسيحية، وبتأثير وزيريه المسيحيين، وقد وجد الأطباء المسيحيون الطريق ممهدا للإشراف على الشؤون الطبية في البلاط المغولي، وكان من أثر هذه السياسة أن شاعت بعض التقاليد المسيحية في الأوساط المغولية.[76]

5- مونكو خان (1251-1259م) مجسد فكرة حوار الأديان والحضارات: نصب مونكو خان الأكبر من أبناء تولوي خان في موقع الخان الأعظم للمغول في سنة 1251م[77]، ولما كان مونكو ابنا لامرأة مسيحية فقد عامل النصارى معاملة خاصة وأسند تعليم ولده الأكبر "بلتو" إلى رجل نصراني، وكان كبير وزرائه "بلغاي"(Bulghay) نصرانيا أيضا، غير أنه فيما يتصل بمعتقده الديني فإنه ظل شامانيا، وكان يرى أن جميع الأديان جديرة بالاحترام والتقدير فلم يسمح البتة باضطهاد أحد من الناس بسبب عقيدته، ولم ير أي دافع لفرض الالتزام بقوانين الياسا على أتباع الديانات الأخرى، ففي المأدبة التي أقيمت بمناسبة اعتلائه العرش ذبحت الماشية على الطريقة الإسلامية من أجل ضيوفه من المسلمين[78].

وحسب رواية الراهب الفرنسيسكاني ويليام روبروك (William Rubrouck) الذي قام بزيارة إلى عاصمة المغول كاراكورم في سنة 1254م، أنه شاهد كنيسة صغيرة متواجدة بالقرب من قصر الإمبراطور بها مجموعة من الأيقونات الثمينة وبها راهب أرمني، كما تناول بشيء من التفصيل أوضاع المسيحيين في عاصمة المغول والمحاورات تحت إشراف الخاقان بين ممثلي الأديان المختلفة بصورة توضح أن المغول كانوا غير متعصبين لديانة بعينها[79]، وكان الخان مونكو يعمل على المقاربة بين الأديان والمعتقدات، ويعمل دائما على إزالة التعصب الموجود بينهم وإيجاد قواسم مشتركة بين الأديان، فكان يعامل المسيحيين والمسلمين والبوذيين على قدم المساواة إذ سمح للواحد منهم بأن يناظر الآخر ويجادله في المسائل الدينية في حرية تامة[80]، وكان يترأس بنفسه المناظرات الدينية المنعقدة في بلاطه[81].

ونتيجة لذلك أصبحت قراقورم أكثر الأماكن المحترمة للحريات الدينية؛ فقد التقي روبروك سنة 1254م عددا كبيرا من ممثلي العالم المسيحي، منهم سفراء من قبل الإمبراطور البيزنطي في نيقية، ويوحنا الثالث فاتانزيس ووجد هناك مسيحيان سريانيان من دمشق وراهب أرميني اسمه سيرج قدم من فلسطين، والتقى برجل من متز باللوين اسمه باكيت، تزوج من روسية، ودخل في خدمة زوجة نسطورية للخان الكبير، وكان بالبلاط المغولي أيضا مواطن باريسي اسمه وليم يوشيز يشتغل بصناعة الحلي، صار من أقرب الناس عند مونكو، كما التقى روبروك في قراقورم بعدد كبير من المسيحيين من مختلف الأقوام، من المجريين واللان والروس والكرج والأرمن كما التقى بمبعوث الملك الأيوبي (المغيث عمر) على شرق الأردن (الكرك)[82]، والتقي بسفراء من قبل الخليفة العباسي ومن عند ملك دلهي ومن جهة السلطان السلجوقي، كما صادف أمراء من كردستان وروسيا، وجميعهم يقفون في خدمة الخان الكبير، ولم يكن بالبلاط شيء من التفرقة العنصرية أو الدينية، فعلى الرغم من أن مونكو كان يدين بعقيدة أسلافه الشامانية، فإنه كان يشهد الأعياد البوذية والمسيحية والإسلام دون تفرقة أو تمييز[83]، إذ سلم بوجود إله واحد، يعبده كل إنسان حسبما يشاء[84].

وقد أعفى منكو خان طائفة السادات الكرام والمشايخ الكبار والأئمة الأخيار من المسلمين "وكبار القساوسة" والرهبان والأحبار من النصارى واللامات المشهورين من البوذيين من دفع الضرائب للإمبراطورية، وقد خصّ المسلمين بمزيد من الإكرام والاحترام، وميزهم على جميع الطوائف والمذاهب، وأمر لهم بالصلات والصدقات[85].

ومن أجل تحقيق التوازن بين كل الأطياف الموجودة في إمبراطوريته كان مونكو خان يرأس المناظرات بنفسه، وفي هذه الأثناء كان روبروك الكاثوليكي المتزمت قد وصل إلى بلاطه، وأبلغ الخان أنه أتى إلى هذا المكان "لينشر كلمة الرب"، فكان رد الخان قويا ومخيبا لربروك حيث كان يرفض أن يكون بالعالم سلطان حاكم سواه، وأن سياسته الخارجية تتلخص في أن أصدقاءه هم الذين يدينون له بالتبعية ولا بد من استئصال شأفة خصومه أو إلزامهم بقبول التبعية له، وكل ما تحصل عليه وليم روبروك من مونكو بأن وعده بمساعدة المسيحيين إذا أقدم أمراؤهم على أداء يمين التبعية له باعتباره سيد العالم[86].

وطلب منه الخان المشاركة في مناظرة أمام ثلاثة من القضاة: أحدهم بوذي والآخر مسيحي والثالث مسلم، وكانت المناظرة تخضع لرقابة شديدة من قبل الخان الأكبر، وكان من أهم شروطها: عدم جواز قيام أحد باستخدام كلمات جدلية تثير مشاعر التعصب، في الجولة الأولى واجه روبروك بوذيا من شمال الصين بدأ بسؤاله عن كيفية صنع الكون، وماذا يحل بالروح بعد الموت، فاحتج روبروك على ذلك بالقول إن الراهب البوذي طرح الأسئلة بطريقة خاطئة، فالمسألة الأولى يجب أن تتمحور حول الرب الذي منه بدأ كل شيء، منح الحاكم النقاط الأولى لصالح روبروك، واستمر السجال بينهما حول موضوعات الخير مقابل الشر وطبيعة الرب وماذا يحل بارواح الحيوانات ووجود التقمص، وفيما إذا كان الرب هو من خلق الشر...، وبعد كل جولة من المناظرة كان هؤلاء العلماء يتوقفون لاحتساء جرعات من الخمر استعدادا للمباراة الآتية، وفي الوقت الذي بدأ تأثير الخمر على المشاركين توقف المسيحيون عن محاولة إقناع أحد بحججهم العقلية، وبدأوا بدلا من ذلك بالغناء، أما المسلمون الذين لم يشاركوا في الغناء فقد بدأوا بترتيل آيات من القرأن بصوت عال لكبح جماح المسيحيين، أما البوذيون فقد انسحبوا من المناظرة وبدأوا في عملية تأمل صامتة[87].

ربما بدا ذلك النوع من المناظرات مضحكا نوعا ما في القرن 21م لكنها كانت لافتة إذا أخذنا بعين الاعتبار الطريقة التي كان يتم التعامل فيها مع الخلافات الدينية في عالم القرن 13م وخاصة ما كانت تعرفه أوروبا من تعصب ديني، فقد أصدر البابا إنوسنت الرابع بيانا بابويا صارما في سنة 1252م صادق فيه على ممارسة التعذيب على المسيحيين واجتثاث شأفة الهراطقة في أوروبا، فبدأ الرهبان الدومينيكانيون- أي كلاب الرب- الذين كانوا ينتظرون مثل هذه القرارات بفارغ الصبر، بانتزاع اعترافات من المشبوهين بأساليب وحشية، وقد أخذ ملوك أوروبا من دعاة الصليب على

عاتقهم إشهار السيف في وجه المسلمين؛ فقطعوا ألسنتهم وجزوا رؤوسهم باسم المسيح، أما في فرنسا فقد قام لويس التاسع ممول الراهب روبروك بإحراق 12000 من المخطوطات التلمودية المدونة بخط اليد، كما صبّ جنود الصليب جام غضبهم على المسلمين وعلى المسيحيين الأرثوذوكس[88] في القسطنطينية، فقاموا بذبح جميع من صادفوه في طرقهم بغض النظر عن عمره وجنسه، وأسيئت معاملة الراهبات والعذارى والأمهات وتمت استباحتهن، على العكس من ذلك كان المغول "البرابرة" في هذه الأثناء منفتحين على مختلف المعتقدات والأديان والثقافات الأخرى في العالم؛ فقد التقى روبروك في بلاط الخان الأعظم مونو خان في كاراكورم بمفكرين دينيين وتجار ووفود دبلوماسيين من مختلف البقاع[89]؛ فقد كان مونكو خان مثل جنكيز خان يرى بضرورة التكفل بحرية المعتقد لرعاياه.

لذلك كان كل من أتباع الديانات المختلفة يعدّون القاآن من ملتهم، فملك أرمينيا الصغرى هيتون/هيثوم (Haytun) الأول كان يزعم أن مونكو قاآن قد عمد وأنه حضر بنفسه طقوس تعميده[90]، ويري الجوزجاني أن مونكو نطق بالشهادتين تحت إلحاح من بركة خان[91] (654-665هـ/1256-1267م) عند اعتلائه العرش، فقد قال بركا خان: "لقد انقرضت دولة أهل الكفر وأي ملك كافر يجلس على العرش لا تدوم دولته، فإذا رغبتم في دوام دولة منكو واستمرارها، فلينطق منكو بالشهادة حتى يسجل اسمه في دفتر الإسلام، وعندئذ يجلس للحكم"[92]، فاتفقوا على هذا ونطق منكو بكلمة الشهادة[93]، وثمة مصنف بوذي زعم بأن مونكو قد اعترف بتفوق البوذية على كافة الأديان[94]، ونقل لنا المؤرخ الروسي بارتولد عن روبروك أنهم: "كانوا كلهم يتبعون بلاطه كما يتبع الذباب العسل، وهو يمنحهم جميع، وجميعهم يعده من ملته ويدعو له بالخير والبركة"[95].

والتسامح الديني الذي سار عليه مونكو لم يكن يعدله سوى رغبته الشديدة في أن يسير الحكم في كل منطقة من مناطق الإمبراطورية وفقا لأخلاق أهلها وعاداتهم، ولتحقيق هذا استجلب الديوان الملحق ببلاط الخان كَتَبَة من مختلف الأديان والشعوب، فكان يرى من بينهم الفرس والأويغور وأهل الصين والتبت والتنكوت، وكانت القرارات والأوامر التي توجه لأهل كل قطر يتم تحريرها باللغات المحلية والكتابة المستعملة لديهم، ووفقا للنماذج التي كانت تصدر في عهود ملوكهم الأولين[96].

6- تعامل قوبلاي خان[97] مع رجال الدين في الصين: استطاع قوبلاي خان تحقيق ما لم يستطع جده تحقيقه؛ فقد فتح الصين الجنوبية وأعاد توحيد المملكة الوسطى، وتمكن من الانتصار على السونغيين خلال مدة أربعين سنة، وكان في كل ذلك يسوق لفكرة أن العناية الإلهية قد اختارته لهذا الموقع، وامتدت فترة حكمه طويلا (1260-1294م) وكانت تتسم بسلام نسبي[98]، أظهر قوبلاي خان ما يمكن وصفه بالنموذج المثالي للتسامح الديني فقد كانت الصين تضم كثيرا من الثقافات والأعراق والأديان المختلفة، وعمليا كانت كل الأديان ممثلة في الصين، ففي شوارع دادو المزدحمة كان الخاخامات وحكماء الهنود يختلطون بأعداد أكبر من نظرائهم البوذيين والمسلمين والنسطوريين والكاثوليك، وبالرغم من أن قوبلاي نفسه كان أكثر ميلا للبوذية، إلا أن الكثير من أفراد العائلة المالكة كانوا من المسيحيين المؤمنين، في الوقت الذي كان بعض المغول في الصين مازالوا يعتنقون المعتقد الشاماني وأكثر مستشاري المغول من أتباع الديانتين التاوية[99]، والكونفوشيوسية[100] المشهورة[101].

وعرف عن قوبيلاي أيضا أنه كان واسع الأفق، حرّ الفكر، على الرغم من أنه تحول إلى البوذية إلا أنه كان بعيدا عن التعصب، ترك الحرية لجميع الأديان، وغالبا ما كان يتناظر في بلاطه العلماء ورجال الدين من البوذيين والصينيين من أتباع "كونفوشيوس" والمسيحيين والمسلمين، وقد ترجم بناء على أمره إلى اللغة المغولية أقسامًا من القرآن الكريم والإنجيل والتوراة وتعليمات بوذا، وكانت المناظرات في المسائل التي تتعلق بما وراء الطبيعة تجد ميلا شديدا لدى الخان، وفي نهاية المناظرات كان يشمل المتناظرين بعطفه ورعايته[102].

وقد حاول المسيحيون الإيقاع بالمسلمين فقصدوا القاآن قوبيلاي وأخبروه أنه توجد آية في القرآن الكريم تأمرهم بقتل المشركين: "اقتلوا المشركين كافة"، فاستدعى العلماء وسأل كبيرهم مولانا حميد الدين سابق السمرقندي الذي كان قاضيا عن صحة وجود تلك الآية في القرآن الكريم، فأجابه بنعم، فسأله القاآن: فلماذا لم تقتلوهم؟! فأجابه قائلا: "لقد أمر الله تعالي بقتل المشركين، ولو أذن لي القاآن لقلت له من المشرك، فقال له القاآن تكلم، فقال: أنت لست مشركا لأنك تكتب اسم الله الأعظم في مقدمة الفرمان، أما المشرك فهو من لا يعرف الله، ويجعل له شريكا، وينكر وجود الله العظيم"[103]، فأعجب القاآن أيم إعجاب بتلك الإجابة، وأكرم مولانا حميد الدين وشمله بعطفه، فنحا بفضل كلامه كل المسلمين من مكائد المسيحيين[104].

وكان قوبيلاي خان(1259-1294م) يحتفل مع المسيحيين بعيدي الميلاد والقيامة في العاصمة الصينية بيكين، كما كان يفعل نفس الشيء في أعياد المسلمين واليهود والوثنيين، وأن هؤلاء جميعا كانوا يحتفلون بعيد ميلاد الخان الذي كان بوذيا فيرفع جميع النصارى والوثنيين والمسلمين ومعهم بقية الناس وجميع الأصناف الصلوات الحارة الصادقة كل إلى ربه أو وثنه أن يبارك الخان ويهبه طول العمر والعافية والرفاهية[105].

كتب ويذر فورد أن المغول قد بنوا الكنائس في الصين والمدارس الإسلامية في روسيا والقباب البوذية في بلاد فارس.

توفي قوبلاي الذي كان آخر ملوك المغول العظام سنة 1294م بعد حكم دام 34 سنة وكان أكثر إنسانية[106]، وإن التاريخ يجل له إصدار الأوامر بإصلاح المعابد والأماكن المقدسة والمباني العامة الأخرى التي تهدمت خلال الحرب.

خاتمـــة: تعرضت في هذا المقال إلى مفهوم المعتقد أو الدين لدى المغول، وركزت على نظرهم تجاه المعتقدات والأديان الآخرة، وقد استنتجت عدة نقاط أجملها في التالي:

- إن الدارس للتاريخ الذي كتبه المسلمون عن الغزوات المغولية للعالم الإسلامي والأوروبي يعتقد أن حروبهم كانت ضد كل الأديان ولكن هذا يجانب الحقيقة، لأنّ المغول لم ينحازوا إلى ديانة معينة ضد أخرى، فقد دمروا المساجد ودور العلم الإسلامية مثلما خربوا الكنائس والأديرة في شمال أوروبا وشرقها، ومن هنا لم تكن حروبهم دينية ضد الإسلام أو المسيحية.
- اتبع جنكيز خان سياسة رزينة تجاه المعتقدات والأديان الأخرى، فقد نادي إلى التسامح الديني، وكفل حرية المعتقد لمختلف الشعوب الموجودة في إمبراطوريته الشاسعة، وارتفع عن التعصب الديني بحيث اتخذ مستشارين ووزراء من مختلف الديانات، وترك حرية المعتقد لأبنائه وكان بإمكانه وضع مادة في قانون الياسا تفرض عليهم البقاء على معتقدهم الشاماني.
- كون الخوارزميين هم أول قوة كبيرة اصطدم بها المغول، فإن المسلمين قاسوا أكثر من غيرهم من ذلك الاضطراب الذي صحب غزوات المغول، لذلك معظم المدن الإسلامية في وسط أسيا أصبحت أطلال.
- لم تكن حرب المغول ضد الدولة الخوارزمية حربا دينية مثلما كانت حروب الصليبيين على العالم الإسلامي، ولكن سببها كان نقض السلطان المسلم العهود بينه وبين العاهل المغولي.
- لم يحاول المغول في أي مرة التبشير لمعتقدهم الشاماني، ولم يفرضوا على الشعوب التي احتلوها ترك دينهم واعتناق الشامانية، واتبع خلفاء جنكيز خان نفس سياسته المعتدلة تجاه الأديان والمعتقدات الأخرى.

- احترم المغول منذ عهد جنكيز خان كل الأديان والمعتقدات، وحاولوا إيجاد مساحة مشتركة بينها، كما حاولوا خلق جو من التعايش بينها وذلك عن طريق إقامة المناظرات، وهو شبيه بما كان يقوم به الخليفة العباسي المأمون عندما كان يعقد المناظرات بين مختلف المذاهب والفرق الإسلامية، ويحاول إيجاد التقارب بينهم.

الهوامش:

1- هم من القبائل التركية التي كانت تنزل في أعالي نهر ينيسي، اتخذ أميرهم لقب خاقان حوالي القرن الثامن حسب ما وجد في نقوش أورخون، على أنهم لم يشتهروا على المستوى السياسي إلا في سنة 226هـ/840م حينما انتزعوا أراضي الأويغور في منغوليا وامتدت مملكتهم حتى المحيط ولم يلبث أن طردوهم الخطا من منغوليا في أوائل القرن العاشر الميلادي، خضعوا للمغول زمن جنكيزخان سنة 615هـ/1218م. انظر عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص.30

2- نوراك تشادويك وفيكتور جيرمونسكي: ملاحم أسيا الوسطى الشفوية، ترجمة رباب ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995م، ص244.

3- نفسه، ص245.---4- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح، بيروت، 1404هـ/1984م، ص34.

5- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية، مرجع سابق، ص245.--- 6- نفسه، ص247.--- 7- نفسه.--- 8- نفسه، ص249-250.

9- نفسه، ص252. ---- 10- نفسه، ص244.---- 11- الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تعليق، إبراهيم شمس الدين، ج.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2002م، ص43.--- 12- عبد العزيز الخالدي: مرجع سابق، ص34 وما بعدها.

13- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1332هـ/1914م، ج4،ص310/الرمزي: مصدر سابق، ج1، ص42.

14- هي قوانين على شكل دستور كتبها جنكيزخان من ذهنه ورتب فيها أحكاما وحدد فيها حدودا ووضع لكل أمر قانون ولكل مصلحة دستورا واستن لكل ذنب حدا وعقابا، وفقت بعضها ما جاء في الشريعة الإسلامية، وكتبت بالخط الأويغوري، ووضعت في طوامير (سجلات) وأن تسمى "الياسا الأكبر"، وأمرهم أن تجعل في خزانة الملوك، وكان المغول يحضرون هذه الطوامير كلما جلس حاكم جديد على عرش الخانية، أو يقومون بتعب بت بتعبئة جيش جرار، أو يجتمع الأمراء للنظر في مصالح الملك وتدبير شؤون البلاد، ويبنون أمورهم وقراراتهم وفق نصوصها.انظر، الجويني، المصدر السابق، ج1، ص65-66/القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص310-311.--- 15- المرجع نفسه،ج 4، ص311.

16- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: حمان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، ج2، ص 2006.

17- هو زرادشت بن بورشب، كان أبوه من أذربيجان وأمه من الري واسمها: دغدويه، ظهر في زمان الملك كشتاسب بن لهراست، وفي الثلاثين من عمره إدعى بأن الله تعالى بعثه نبيا ورسولا إلى الخلق، فدعا كشتاسب الملك فأجابه وإعتنق دينه، وكان دينه: عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث، وقال أن النور والظلمة أصلان متضادان، وصنف زرادشت كتاب وقيل أنه أنزل عليه يسمى:"زند أوستا"، يقسم العالم قسمين: مينه وكيتي، ويعني الروحاني والجسماني أو الروح والشخص، كما قسم الخلق إلى عالمين: بخشش وكنش، معناها التقدير والفعل، وتدعى الزرادشتية له معجزات كثيرة منها: أنه مر على أعمى بالدينور فوصف له حشيشة عصروا مايها في عينه فأبصر. انظر الشهرستاني، الملل والنحل، تح صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ص192-193.---- 18- ابن الأثير، مصدر سابق، ج.2، ص75.

19- كان جنكيز خان رجلا طويل القامة، قوي البنية، ضخم الجثة، طويل اللحية، وكانت لحيته بيضاء، وله عينان تشبهان عيني القط، وكان في غاية الشجاعة والذكاء والعقل والعلم والهيبة والاستعداد للقتال، كما كان عادلا ومنظما وقاهرا للعدو، وشجاعا سفاكا للدماء، وكان يتصف بالمكر والاستدراج لخصومه، ولما قدم إلى خراسان كان في الخامسة والخمسين من عمره. انظر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني، طبقات ناصري، ترجمة ملكه علي التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ج1،ص158.--- 20- إيمي شوا: عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوة المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها، ترجمة منذر محمود صالح محمد، مكتبة العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م، ص147.

21- النصارى هم أتباع النصرانية (Christian) وهي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادا شديدا، فسرعان ما فقدت أصولها، فابتعدت كثيرا عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية. انظر سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص173.

22- علاء الدين عطا ملك الجويني، جهان كشاي (تاريخ فاتح العالم)، ترجمة السباعي محمد السباعي، تح محمد عبد الوهاب القزويني، المركز القومي للترجمة، 2007م، القاهرة، مج1، ص66/القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص311.

23- السيد الباز العريني، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ/1986م، ص61--- 24- إيمي شوا، المرجع السابق، ص155.

25- بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1401هـ/1981م، ص560.

26- هو محمود الخوارزمي وكان قد التحق بخدمة جنكيز خان قبل هجومه على أملاك الدولة الخوارزمية، ولما كان هذا الرجل يقوم بمهمة السفير والرسول لجنكيز خان إلى السلطان محمود خوارزمشاه فقد لقب بلقب "يلواج" وهو لفظ تركي يعني السفير والمبعوث، وكانت أول سفارة له في سنة 614هـ/1217م حينما حمل رسالة جنكيز خان إلى السلطان محمد، ونذ ذلك التاريخ وهو في خدمة جنكيز خان، فكان بمثابة مستشاره الخاص ووزيره، فكان يتمتع بعطفه حتى عينه نائبا عنه في منطقة ما وراء النهر، ثم نصب بعد ذلك حاكما على هذه المنطقة من قبل أبنائه، فبذل جهودا كبيرة في تعمير ما خربه المغول، فأصلح أمور الناس وإدارة البلاد. انظر عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص155.---- 27- كان قبل أن يلتحق بجنكيز خان مستشارا لآخر ملوك نايماني، ثم اتخذه جنكيز مستشارا له ومعلما لأطفاله يعلمهم الخط الأويغوري. انظر، نفس المرجع، ج1، ص.155

28- ينتمي الأويغور إلى القبائل التركية وكانوا يقطنون في شمال منغوليا على نهر سلنجا (Selenga)، اتخذ أميرهم لقب التبير وهو أدنى مكانة من لقب خاقان، ولما انتقل إليهم الملك في منغوليا حوالى سنة 745م اتخذ ملكهم لقب خاقان وحكمت أسرته حتى سنة 840م، حلت الكتابة الأويغورية مكان الأبجدية التركية القديمة، وقد اتخذ المغول في القرن الثالث عشر أبجدية الأويغورية، سقطت الدولة الأويغورية على يد قبائل الترك القرغيز سنة 840م، فهاجروا إلى تركستان وكونوا مملكتين: الأولى في كانسو والأخرى في بش بالق وقره خوجا.انظر الباز العريني، المرجع السابق، ص29-.30

29- هو بي ليوحوتاي من أهل الصين الشمالية، وقد شغل والده منصب الوزارة لأسرة كين، تثقف بثقافة عالية حيث حصل العلم والحكمة ودرس علوم الفلك والجغرافيا والأدب، وصنف في هذه الفنون كتبا عديدة، عين في سنة 612هـ/1215م حاكما على مدينة بكين عاصمة أسرة كين، ولكن سرعان ما سقطت على يد المغول فوقع في أسرهم، ثم أصبح مستشار جنكيزخان وهو من أهم الشخصيات التي أثر في جنكيزخان، وقد قام هذا الصيني من إنقاذ كثير من الكتب الثمينة من الحرق والغرق، وذلك في المدن التي تعرضت لنهب المغول لأنه كان مصاحب لجل حملاتهم، فأدى خدمة جليلة للعلم والثقافة، كما قام في كثير من الأحيان إلى المسارعة إلى نجدة المنكوبين والتخفيف من ويلاتهم، فكان يعطي الدواء والغذاء لأولائك المساكين، واهتم بالبحث عن عقاقير طبية لمكافحة الأوبئة الناجمة عن جراء تراكم جثث القتلى، وكان يتدخل بحذر ودقة ملتمسا العفو لدي المغول عن مدينة أو إقليم كان على وشك أن ينزل به عقابهم، فصار بحق وسيط بين المظطهد والجائر، وكثير من الأحيان كان يقول له أوكتاي ابن جنكيز خان: أستبكي من جديد من أجل الشعب؟ انظر عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص155وما بعدها.--- 30- نفسه، ج1، ص155.--- 31- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص66.

32- نفسه، مج.1، ص66.

33- النسطورية هم أتباع نسطور (380-451م) بطريرك القسطنطنية الخارج على العقيدة المسيحية، قال في المسيح: إن في المسيح شخصين وهما الشخص الإلهي والبشري، عكس ما تعلمه الكنيسة من أن المسيح شخص واحد في طبيعتين إلهية وإنسانية، اعتنقت كنيسة بلاد فارس عقيدته بعد إدانتها بخمسين سنة فدعيت الكنيسة النسطورية، وما لبثت أن امتدت في القرون الوسطى إلى بلاد ما بين النهرين والهند وحتى الصين دون أن تجد لها سندا رسميا طوال تاريخها.انظر سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض، 1428هـ/2007م، ص.271

34- إيمي شوا، المرجع السابق، صص150-159.--- 35- نفسه، ص153-154.---36- الجويني، المصدر السابق، ج1، ص66.

37- بعد أن كون جنكيز خان دولة قوية بتوحيده القبائل المغولية قرر وضع حد لتدخل أفراد أسرة كين الصينية في شؤونه الداخلية، وخرج بنفسه على رأس قوات كبيرة واشتبك مع الصينيين للمرة الأولى في سنة 608هـ/1211م، وتمكن من إحراز جملة من الانتصارات وخضعت له البلاد والواقعة داخل سور الصين العظيم، وفي سنة 610هـ/1213م تحرك على رأس 3 جيوش حرارة رفقة أبنائه، ولكنه فشل في احتلال مدينة بيكين عاصمة الصين، ولم يتمكن احتلالها إلا في سنة 612هـ/1215م.انظر الصياد، المرجع السابق، ج1، ص52-53.---38- إيمي شوا، المرجع السابق، ص162-163.

39- الخطا أو قره ختاى أو خيتاى، وكلها أسماء لشعب خيتاي والراجح أنهم ينتمون إلى التونغوز أو المغول، وكانوا أعداء للترك، وكانوا يقطنون في جنوب منشوريا وفي القرن العاشر استولوا على شمال الصين وأقاموا هناك أسرة حاكمة باسم ليائو(966م)، واستطاع مؤسس الأسرة اباؤوكى(Apaoki) من إخضاع شمال منغوليا، واستطاع الخطائيون من توطيد نفوذهم في جنوب الصين منذ سنة 960م وطردوا أسرة سونج الصينية من هناك، وظلوا بجنوب الصين إلى حوالى سنة 1125م حيث طردهم من هناك شعب تونجوزي أخر يعرف باسم جرجين، فبقى جزءا منهم في الصين تحت حكم جرجين وارتحل جزء منهم باتجاه الغرب واجتازوا بلاد القرغيز على نهر ينسي حتى وصلوا اقليم الكوجاق، فأنشأوا مدينة اميل، ومنها استولوا على مدينة بالاساغون ثم ضموا كاشغر وختن واقليم ما وراء النهر وخوارزم، وكانت عاصمتهم بالاساغون واتخذ ملكهم لقب الكورخان (أي خان الخانات)، ولما انهارت مملكة قره ختاي على يد مملكة الأمير كجلك النايماني كان لزاما على آخر ملوك قره ختاى أن يتخذوا العادات والملابس الإسلامية، وبقى اقليم ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن انتزعه منهم علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة 912هـ/1211م.انظر الباز العريني، المرجع السابق، ص32-33.

40- لما استولى كوجلك خان على مدينة كاشغر وختن نبذ المسيحية واعتنق المذهب الوثني وأراد فرضه على رعياه بما فيهم المسلمين وحشر في الصحراء كل شخص من أهل العلم والصلاح، فاجتمع له أزيد من ثلاثة ألاف إمام من الأئمة الكبار، وتحداهم قائلا: أي شخص في هذه الصفوة يستطيع أن يناظرني في أمور الدين والملك ولا يبالي بما أقول ولا يخاف عقابي أو غضبي؟ وهو يظن أنه لا يجرئ أحد على تحديه، فنهض إليه الشيخ الموفق والإمام علاء الدين محمد الختني نور الله قبره، وأخذ يجادله في أمور الأديان، فأفحمه الإمام بالحجة والبراهين القاطعة، تعالت الأصوات وأدرك كوجلوك أن الحق انتصر عليه، انطلق لسانه بالسباب والهذيان ظنا منه أنه سيرهب الإمام ولكن هذا الأخير رد عليه بشجاعة قائلا: ملأ التراب فاك يا عدو الدين يا كوجلك اللعين، فأمر غلمانه القبض عليه وأجبره على الارتداد عن الإسلام والكفر، فأبى وبقى تحت الجوع والتعذيب عدة أيام بلياليها، فصبر صبر أيوب وهو يقول: ولو بيد الحبيب سُقيتُ سما لكان السم من يده يطيب، ثم شدوا عنه العذاب حيث أثبتوه بأربعة من الدسر على باب مدرسته التي كان قد شيدها في ختن، وهو ينطق بكلمة الشهادة والتوحيد وينصح الناس بأعلى صوته قائلا: لا يمكن لإنسان أن يفرط في أمور الدين نتيجة لما يلقاه من عقوبات وآلام في هذه الدنيا الفانية، ولا يمكن له أن يسلم نفسه لنار جهنم إلى أبد الآبدين، والعيب العيب أن يبدل الإنسان الدار الباقية بالدار الفانية التي هي لعب ولهو للصغار، وظل يردد ذلك حتى أسلم روحه لبارئها.انظر الجويني، المصدر السابق، مج1، ص101-102.

41- المصدر نفسه، مج1، ص96/عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص56.---42- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص97/عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص56.---43- إيمي شوا، المرجع السابق، ص162-163.---44- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص97.---45- إيمي شوا، المرجع السابق، ص162-163.---46- عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص144.

47- كانت حادثة أوترارة 1219م هي التي أشعلت الحرب بين جنكيزخان والدولة الخوارزمية، وسببها أن ثلاثة(03) تجار من المسلمين وهم: أحمد جندى وابن الأمير حسين وأحمد بالخ قرروا الذهاب إلى بلاد المغول للتجارة، ففعلوا ذلك واستقبلهم جنكيزخان بحفاوة وتاجر معهم وفي أثناء عودتهم إلى الأراضي الخوارزمية بعث معهم العاهل المغولي قافلة كبيرة من التجار تتكون من 450 تاجر للتاجر في الأراضي السلطان الخورزمي، وأرسل جنكيزخان رسالة معهم موجهة للسلطان الخوارزمي، ولما وصلت القافلة عند مدينة أترارة الحدودية بين الأراضي المغولية والخوارزميةقام حاكمها المسمى "ينال جوق" بقتل كل التجار المغول ضنا منه أنهم جواسيس وطمعا في أموالهم، ولم ينجوا من التجار إلا واحدا نقل الخبر إلى جنكيزخان الذي إشتاط غضبا وحاول حل المشكل سلميا فأرسل ثلاثة رسلا للقيام بالصاح بين الطرفين ولكن السلطان الخوارزمي إرتكب خطأ إستراتيجي عندما قتل المبعوثين فغضب جنكيزخان غضبا شديدا وأعلن الحربع على الدولة الخوارزمية.انظر الجويني، المصدر السابق، مج1، ص107 وما بعدها.---48- المصدر نفسه، مج1، ص110/عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص111.---49- الجويني: المصدر السابق، مج1، ص129.---50- المصدر نفسه، مج.1، ص143.

51- هو الراهب التاوي الصيني تشأن تشؤن وقد زار المنطقة خلال الغزو المغولي وأعطانا معلومات قيمة عن رجوع جنكيزخان إلى منغوليا وقد قام بتدوين تلك المعلومات أحد مريديه، وكان الراهب قد اشتهر بين الناس فأرسل يستدعيه جنكيزخان في سنة 1219م وهو لا يزال على ضفاف ارتيش، لكي يستفسره على بعض الأمور الفلسفية مثل إيجاد دواء الخلود، وقد احتاز تشأن تشؤن في طريقه كل من منغوليا وبلاد الأويغور ومقاطعة قوجله ويدي صو وسيرام 1221م، وسمرقند ومدن تركستان وبلاد ما وراء النهر.انظر بارتولد، المرجع السابق، ص631-632.

52- المرجع نفسه، ص 633.---53- إيمي شوا، المرجع السابق، ص181-182.---54- نفسه، ص182-183.---55- نفسه، ص184-185.---56- هو الابن الثالث لجنكيزخان كان يختص بالشؤون المالية والإدارية وتنظيم شؤون الملك وتدبير مصالح الناس أثناء حياة والده انتخب خانا على المغول بعد سنتين من وفاة جنكيزخان.انظر عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1،ص163 وما بعدها.---57- المرجع نفسه، ج1، ص189.

58- رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنكيز خان: من أوكتاي قاآن إلى تيمورقاآن"، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص72.---59- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص218/رشيد الدين الهمذاني، المصدر

السابق، ص74-75.--- 60- الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص165-166.--- 61- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص232/رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص85-86.--- 62- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص234/رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص76.

63- جغطاي هو أحد أبناء جنكيزخان كان معروفا بالتهور والغلبة والسياسة والخشونة، كانت له تركستان وبلاد ما وراء النهر، إتخذ من مدينة سمرقند حتى بيش باليغ مقرا له ولأولاده وجنده، كان حشمه في غاية الانضباط خوفا من عقابات الياسا، و لم يجرؤ أحد في عهده على التعرض لجيشه، وأمنت الطرق في عهده فلم تكن أية طريق في حاجة إلى حراسة، فكان يقال أن المرأة كانت تمشي وحيدة حاملة طشتا من الذهب فوق رأسها بلا دون أن يتعرضوا لها خوفا من جغطاي لأنه كان يسن القوانين الصارمة ويطبقها بدون رحمة، ومن بين تلك القوانين عدم الذبح على طريقة الإسلامية وعدم الجلوس لمارا على المياه الجارية، وكانت القوانين تطبق بدقة حتى إنه لم يعرف أن شخصا ما في خراسان ذبح خروفه بشكل علني على الطريقة الإسلامية، بل أمر المسلمين بأكل لحم الميتة، ولما توفي مونكوخان زاد شره بحيث أضحى هو المرجع يأخذون عليه القوانين والأوامر، ولحس الحض أنه لم يعش طويلا بعد الخان بحيث مرض وعجز عن إدارة الدولة حيث أوكلها لوزيره التركي "هجير" ثم تغلب عليه الأمير "حبش العميد"، وبعد وفاة جغطاي حكم إبنه "قرا هولاكو" من بعده. انظر الجويني، المصدر السابق، مج1، ص272-273/رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص135-136.

64- الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص168.---65- المصدر نفسه، ج1، ص171/عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص192-193.

66- الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص166.--- 67- فقد ذكر في الياسا (القانون المغولي) أنه لا يجوز في فصل الربيع والصيف أن يتزل أي شخص إلى الماء وأن لا يغسل شخص يده من جدول ولا يرفع شخص الماء من النهر في أوان من الذهب والفضة وأن لا ينشر ثوبا مغسولا في الصحراء لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا يسبب رعدا وبرقا، وكانت منازلهم ومكان إقامتهم منذ أول الربيع حتى آخر الصيف أكثر الأوقات نزولا للمطر.انظر، الجويني، المصدر السابق، مج1، ص216/رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص73.--- 68- الجويني، المصدر السابق، مج1، ص216-217/الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص166-167/رشيد الهمذاني، المصدر السابق، ص73-74.

69- هو الابن الأكبر لأوكتاي قاآن، ولد من زوجته الكبرى "توراكنه خاتون"، كان له زوجات ومحظيات كثيرات، وكانت "أوغول قيميش" كبراهن جميعا، وكان لكيوك خان ثلاثة أولاد هم خواجة أوغول وناقو وهوقو. انظر المصدر نفسه، ص175.--- 70- رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص184/عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص198-199.---71- الهمذاني، المصدر السابق، ص188/بارتولد، المرجع السابق، ص678.

72- تعد سفارة يوحنا(جون) بلانو الكاربيني (1245-1247م) واحدة من أشهر البعثات البابوية للمغول وذلك لأنها أول بعثة أوربية تصل إلى قراقورم عاصمة الإمبراطورية المغولية، وأول فرصة للاحتكاك المباشر وتبادل المعلومات بصورة علنية ومكتوبة بين المغول وأوربا، وترجع أهميتها كذلك إلى دقة وغزارة المعلومات التي دونها الرحالة الفرنسيسكاني في تقريره الذي قدمه إلى البابا عن حياة المغول ونظمهم الاجتماعية وجيوشهم وخططهم الحربية، ومعتقداتهم الدينية وشرائعهم وطريقة غزوهم، وأسلوب حكمهم للبلاد التي احتلوها، فضلا عن معلومات جغرافية وتاريخية لم تكن معروفة للغرب الأوروبي من قبل عن مناطق وسط آسيا وشرقها، كما أن الكاربيني ورفاقه الذين حضروا حفل تنصيب كيوك خان خاقانا على المغول في أغسطس 1246م قد تقابلوا مع كبار قادة المغول وتحدثوا معهم لأول مرة واستمعوا إليهم، ونقلوا للغرب المسيحي ما سمعوه ورأوه ومن ثم فإن هذه السفارة قد وضعت الأسس الأولى للاتصالات السياسية والتجارية بين المغول وأوروبا.انظر، عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، كلية الأدب، جامعة الزقازيق، 1997م،ص60.---73- الصياد، المرجع السابق، ج1، ص199-200/الباز العريني، المرجع السابق، ص189-190/

D'ohsson C. Histoire des Mongols, depuis Tchinguiz-Khan jusqu'à Timour bey ou Tamerlan, Frederik Muller, Amsterdam, 1852. T.III, pp.207-230.

74- عادل هلال، المرجع السابق، ص65.---75- المرجع نفسه، ص66.---76- الصياد، المرجع السابق، ج1، ص201.---77- المرجع نفسه، ج.1، ص210.---78- بارتولد، المرجع السابق، ص685.---79- عادل هلال، المرجع السابق، ص77.---80- الصياد، المرجع السابق، ج1، ص210-211.---81- إيمي شوا، المرجع السابق، ص175.---82- السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ص، 196-197؛ الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص 211.

83- وقد تأثر منكوخان في هذا بسياسة والدته "سرقوبيتي بيكي" التي أثرت فيه تأثيرا كبيرا، فمع أن هذه المرأة كانت تدين بالمسيحية، إلا أنها سلكت سلوكا حسنا مع الرعايا المسلمين، وكانت شديدة العطف عليهم، لا سيما الأئمة ومشايخ الإسلام، إذ أغدقت عليهم بالكثير من العطايا والهبات، وأقامت في بخارى مدرسة على نفقتها الخاصة، ووقفت عليه أوقافا كثيرة، وولت عليه شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي، وعينت المدرسين ورعت ثؤون الطلبة، وكانت تتصدق على الفقراء والمساكين من المسلمين، وقد استمرت على هذه السياسة إلى أن توفيت في ذي الحجة سنة 649هـ/مارس 1251م.انظر المرجع نفسه، ج1، ص211.---84- المرجع نفسه، ج1، ص211.---85- رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص217.--- 86- السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص197.---87- إيمي شوا: المرجع السابق، ص176.

88- هم أتباع الكنيسة الأرثوذوكسية وهي أحدى أكبر الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام 1054م، وتمثلت في عدة منائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتدعى الأرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية، في نهاية القرن 9م وبعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس عام 879م أصبح يمثل الأرثوذوكس كنيستان رئيسيتان: 1- الكنيسة الأرثوذوكسية المصرية القبطية والمعروفة باسم المرقوسية الأرثوذوكسية أو كنيسة الإسكندرية، 2- الكنيسة الأرثوذوكسية أو كنية القسطنطينية. انظر أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص.267

89- إيمي شوا، المرجع السابق، ص177.---90- بارتولد، المرجع السابق، ص686.

91- هو بركة خان الملقب بـــ"أبو المعالي ناصر الدين" ابن جوجي ابن جنكيزخان، اعتلى عرش سلطنة القبيلة الذهبية في سنة 652هـــ، وقد أسلم وحسن إسلامه واتفق المؤرخون على أنه أول من أسلم من أولاد جنكيزخان ولكنهم اختلفوا في تاريخ اسلامه هل كان في أيام حكم أخيه باتو أو بعد وفاته وبعد أن أفضت السلطنة إليه والأرجح أنه أسلم في زمن سلطنة أخيه باتو.(أنظر،الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص ص، 397-398.)؛ وقال القلقشندي أنه أسلم في عهد أخيه وذلك حين أرسله لإحلاس منكو قآآن على كرسي جده جنكيزخان فقام بالمهمة وأثناء عودته مر في طريقه على شيخ الطريقة النقشبندية الباخرزي فأسلم على يديه وحسن إسلامه وحين إعتلائه العرش كان مسلما.انظر القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص.310

92- الجوزجاني، المصدر السابق، ج.2، ص194.---93- نفسه.---94- بارتولد، المرجع السابق، ص686.---95- المرجع نفسه، ص686.

96- المرجع نفسه، ص687.--- 97- هو الإبن الرابع لتولوي خان ولد من زوجته سيور قوقتيتي بيكي، حكم خمسا وثلاثين سنة، توفي وهو في سن الثالثة والثمانين سنة في عام ثلاث وتسعين وستمائة"693هـــ/1294م"، وترك الملك تيمور قاآن.انظر الهمذاني، المصدر السابق، ص237-298.

98- إيمي شوا، المرجع السابق، ص179-180.

99- هي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفا سلبيا من الحضارة والمدنية، كان لها دور هام في تطوير علم الكمياء، يعتقد بأن لوتس (Laotse) الذي كان ميلاده سنة 507 ق.م هو صاحب مذهب الطاوية وقد وضع كتابه:"طاو - تي - تشينغ (Tao-te-ching) أي كتاب طريق القوة، وقد التقى به كونفوشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى، بقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني وفي التغيرات التاريخية الصينية، نمت في منطقة جبال شي شوان.انظر أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص.690.

100- هي ديانة أهل الصين التي تدعو إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها وهي تقوم على عبادة الإله الأعضم وعبادة أرواح الآباء والأجداد وتقديس الملائكة، ويعتبر كونفوشيوس الذي ولد سنة 551 ق.م في مدينة تسو (Tsou) المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية، اسمه كونج (Kung) وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس (Futze) ومعناها الرئيس أو الفيلسوف، فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها، ينتسب إلى أسرة عريقة فجده كان واليا على تلك الولاية ووالده كان ضابطا حربيا ممتازا،عاش يتيما فعمل على رعي الغنم، وتلقى علومه الفلسفية على يد أستاذه الفيلسوف لوتس (Laotse) صاحب النحلة الطاوية، في 22 من عمره أسس مدرسة لدراسة أصول الفلسفة واحتوت 3 آلاف تلميذ، تنقل في عدد من الوظائف فقد عمل مستشارا للأمراء والولاة، وعين قاضيا وحاكما ووزيرا للعمل، ووزيرا للعدل ورئيسا للوزراء في سنة 496 ق.م، حيث أقدم على إعدام بعض الوزراء السابقين وعددا من رجال السياسة وأصحاب الشغب حتى أصبحت مقاطعة لو نموذجية في تطبيق الآراء والمبادئ الفلسفية التي ينادي بها، مات كونفوشيوس في سنة 479 ق.م، وترك مذهبا رسميا وشعبيا استمر حتى منتصف ق 20م.انظر المرجع نفسه، ص648.---101- إيمي شوا، المرجع السابق، ص184.---102- الصياد، المرجع السابق، ج1، ص221.---103- الهمذاني، المصدر السابق، ص290-291.---104- عادل هلال، المصدر نفسه، ص291.---105- المرجع السابق، ص168.---106- إيمي شوا، المرجع السابق، ص186-187.

Abstract: *Remains wars carried out by the Mongols on the Islamic world and Europe are among the most wars that stirred controversy among historians and researchers, some of whom said it was a war against Islam and Muslims and there are those who said it was directed against Christianity, came this article looks at the reality of this matter, and studying point important that how to deal Mongols with other beliefs and religions yet formed other empire, so that touched on the concept of religious belief I have the Mongols, and the look of Genghis Khan to the beliefs of other religions, and how Oktay Khan deal with the Muslims, and the spread of Christianity in the era Quoc Khan, and try Monakukhan embodiment of the idea of interfaith dialogue, and deal Qhobelaa Khan with various communities and religions in China*